**الاجتباء في التعبير القرآني**

**م.م بدور عبود ايدام فريح الغزي**

**المديرية العامة لتربية محافظة ذي قار**

**Ghbdoor201@gmail.com**

**المستخلص:**

يدرس البحث ملمحاً قرآنياً مميزاً وهو الاجتباء, وتناول طبيعة خطاب الفن للأنبياء (عليهم السلام) ومن كانوا محل اجتبائه. وجاء تقسيم البحث على محاور حسب ما يتعلق به الاجتباء, فكان المحور الأول الاجتباء والتوبة، والمحور الثاني الاجتباء والهداية، والمحور الثالث الاجتباء والتأوينل والمحور الرابع الاجتباء والجهاد.

الكلمات المفتاحية: (الاجتباء، التعبير، القرآني).

**Hiding in the Quranic expression**

**Bdoor Abboud Idam Farih Al Ghazi**

**General Directorate of Education in Dhi Qar Governorate**

 **Abstract:**

 The research studies a distinctive feature of the Holy Qur’an which is the hiding and dealing with the nature of the speech of the prophets and who was the place of hiding and the research is divided into four sections.

Key words: (Al-Ijtaba, expression, Quranic).

**المقدمة:**

الحمد لله الأول بلا أول كان قبله، والآخر بلا آخر يكون بعده الذي لا تدركه القلوب بظنها ولا تبصره العيون بلحظها, والصلاة والسلام على مصدر العلوم, والحكم ومرجع الخلائق والامم وسيد العرب والعجم محمد بن عبد الله رسول نبي ودليل من الله وحي وعلى اشراقة الاسلام وائمة بدر الدين التمام آله وصحبه سادة الخلق وأئمة الحق المنتجبين العظام في ربوع من صحاري العرب البائسة, حيث الجدب وانعدام مصاديق الترف أقوام أنيس نفوسهم كلمات ينطقونها وعبارات شعرية ذات رهف يتداولونها انزل الله تعالى تمام آياته بينات بقيت لها نفوس الخلق خاشعات تأخذ بزمام الحيرة وكلابيب الدهشة فرأوا التراكيب في الكلمة والكلمة في الحرف والحرف في ابعاضه فإذا رادوا التحدي اقعدهم عجز الاتيان وإذا رغبوا في المثيل خذلهم سحر البيان فكان عالمهم الباقر للعلوم والحكمة في تحدي كلمات الله كالجاهل بما امتلك الاول وكان الشاعر الفحل امام بيان واعجاز كلام الله كالغريب عن اللغة الغارق بالعجز فزالت صروح الابداع امام ابداع القرآن وعجز كل نتاج امام ما له من نتاج وبيان.

ومن ذلك الوقت والقرآن مركز اهتمام الدرس والمدارسة يتدارسون كلماته ويتأملون عباراته تأويلا وتفسيرا وتحليلا فما شرعت العلوم بالاستقرار والتمنهج حتى كان القرآن مركز نقل تلك العلوم.

من هنا جاءت الرغبة في دراسة ملمح قرآني مميز وهو الاجتباء؛ لما له شأن ملامح القرآن من سمات بيانيه على صعيد التوظيف النبوي والتركيبي لينظر البحث في طبيعة خطاب القرآن في اجتبائه لأنبياء الله ورسله ومن كانوا محل اجتبائه.

فجاء تقسيم البحث على محاور حسب ما يتعلق به الاجتباء كان المحور الأول الاجتباء والتوبة وتعلق بآدم (عليه السلام)، وجاء المحور الثاني بعنوان الاجتباء والهداية والتعلق بإبراهيم (عليه السلام)، وجاء المحور الثالث بعنوان الاجتباء والتأويل، وتعلق بيوسف (عليه السلام) ،وجاء المحور الرابع بعنوان الاجتباء والجهاد والتعلق برسول الله (صلى الله عليه وسلم) والمسلمين ممن جاهد معه.

وكان الاعتماد الأول ضمن التحليل على التفاسير بـالدرجة الأولى ،نظرا لكونهما هي من أشار وتناول الاجتباء بالذكر، فلم نلحظ ممن كتب بالدراسة القرآنية البلاغية والبيانية من تناول الاجتباء بالتحليل والمدارسة، وهذا ما ضم علينا التركيز على كتب التفاسير بشكل ملحوظ.

**مفهوم الاجتباء في اللغة والاصطلاح :**

الأصل في الاجتباء الجمع من الفعل جبي ،فيقال: جبيتُ الماء في الحوض، اي جمعته والحوض الجامة له، جابيته وجمعها جواب، يقول ابن منظور: ((الاجتباء : افتعال من الجباية وهو استخراج الأموال من مظانها والجبوة والحبوة والجبا والجباد ما جمعت في الحوض من الماء ...))(1).

اما في الاصطلاح فعرفه التهانوي بقوله: ((هو في اصطلاح أهل السلوك من الصوفية عبارة عن فيوضات ربانية خاصة لبعض عباده, فتحصل لهم النعم بدون اجتهاد منهم وذلك فقط للأنبياء والرسل والشهداء والصديقين لا غير ...))(2).

* **بين الاصطفاء والاجتباء والاختيار:**

يرى الدارسون أن هذه الألفاظ مما هو مترادف، فالشيخ الطوسي يقول: (معنى اصطفى اختار واجتبى واصله من الصفوة))(3).

ويقول الشنقيطي: (الاجتباء الاصطفاء والاختيار )(4).

ويقول ابو هلال بين الاصطفاء والاختيار فيقول : (ان اختيارك الشيء اخذك خير ما فيه في الحقيقة او خيرة عندك والاصطفاء اخذ ما يصفو منه ثم كثر حتى استعمل احدهما موضع الآخر واستعمل الاصطفاء فيما لا صفو له على الحقيقة )(5). و(الاجتباء تناول جبايته )(6).

**المحور الأول : الاجتباء والتوبة (نبي الله آدم عليه السلام )**

قال تعالى: {فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آدم رَبَّهُ فَغَوَى \* ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى} طه: (121،122)

يتضمن النص القرآني هذا الحديث عن إقدام آدم وحواء (عليهما السلام )على الأكل من الشجرة التي كان الله تعالى قد أمرهم بألا يأكلا منها، فكان من نتائج ذلك ان حصلت المعصية من آدم (عليه السلام) التي اتبعتها الغواية، ليأتي فضل الله تعالى بالاجتباء والتوبة على آدم (عليه السلام)، لتتضمن الآية محاور: العصيان والغواية من جهة والاجتباء والتوبة والهداية من جهة اخرى.

والآية حوت عناصر المشهد بكل دقائقه، وعبرت عن حيثياته بكل سماته، حتى غدا المشهد القصصي ماثلا أمام أعين من يقرأ هذه الآية المباركة وكان ذلك عبر استعمالات قرآنية خاصة، منها الاستعمال اللغوي الرائع، وما تضمنه الآية الكريمة من عناصر بنيوية وتركيبية رسمت المشهد حيا شاخصا معبرا عن الموقف ايما تعبير، راسما إياه أيما رسما.

كان الاستعمال للحرف في غاية الدقة ومنتهى الابداع ضمن تآزر الكلمات داخل التركيب، لتحقيق معنى الاجتباء وبيان ماهيته، إذ نرى استعمالا لحرف العطف (الفاء) مرة، ومرة نرى استعمالا لحرف (ثُم)، ومرة ثالثة للحرف (الواو)تبعا لدقة استعمالية كان التعبير القرآني مراعيا لها.

فـ(الفاء) حرف عطف، أخذ بزمام الدلالة على معنى التعقيب، فهو من أهم معانيها، يقول المرادي في هذا ))اما العاطفة من الحروف التي تشترك في الإعراب والحكم ومعناها التعقيب، فإذا قلت قام زيدٌ فعمرو دلًت على أن قيام عمرو بعد زيد بلا مهلة، فشارك (ثم) في افادة الترتيب وتفارقها في انها تفيد الاتصال و (ثم) تفيد الانفصال ...))(7).

ويقول بن هشام في هذا :(( الا ترى أنه يقال تزوج فلان فولد، إذا لم يكن بينهما الا مدة الحمل ...ان تدل على ترتيب معانيها في الوجود :

**يا لهَفَ زيًابةَ للَحارثِ الـ صّابحِ فالغانم فالأيبِ**

اي الذي صبح فغنم فاب ))(8).

اما (ثُم) فهي ((حرف عطف ،شرك في الحكم، ويفيد الترتيب بمهلة ،فإذا قلت :قام زيدٌ ثُم عمرو ،اذنت بأن الثاني بعد الأول بمهلة ...))(9).

وعليه فبنية الدلالة للأفعال الواردة في النص لحكمها بنية الاستعمال الدقيق لهذه الحروف، فهناك علاقة بين فعل العصيان وفعل الغواية، وهناك علاقة بين فعل الاجتباء وفعل التوبة، فضلا عن فعل الاجتباء والتوبة من جهة بعلاقته بفعل العصيان والغواية، إذ هناك ارتباط كبير بين حدثية هذه الأفعال يكمل بعضها بعضاً، ويتآزر الجميع في رسم البعد الدلالي للنص الكريم.

أما علاقة العصيان بالغواية علاقة متزامنة مباشرة، فمجرد أن حصل العصيان حصلت الغواية، وعليه جاء التعبير بالحرف (الفاء)، وكذلك الأمر في علاقة الاجتباء بالتوبة، فمجرد أن اجتبى الله آدم (عليه السلام ) فهو قد تاب عليه، فكان التعبير جارياً باعتماد الحرف (فاء)، غير أن لما كانت علاقة الاجتباء بالعصيان.

والغواية علاقة تراخٍ مهلة، لأن الله لم يجتبِ آدم مباشرة بعد عصيانه، بل كانت هناك فترة زمنية أعقبت العصيان، بإبداء السوءة والإنزال إلى الأرض وغيرها من الأحداث، جاء التعبير لهذا الحرف الحامل لهذا البعد الدلالي وهو (ثم).

ولم يكن الاستعمال القرآني في ذلك إلا في غاية الروعة البيانية، إذ تآزر كلٌ من الحرف (ثم) ولفظ الاجتباء في الدلالة على مشهد يقف خلف النص المرئي، مشهد يتكفل به انعام النظر بالدلالة الدقيقة للحرف (ثم) واختيار (اجتبى) من دون سائر الأفعال ضمن هذا النص بالتحديد (10).

فالحرف ثم دل على هناك فترة كان آدم قد عاشها بين العصيان والتوبة عليه، كان فيها حاله حال من اخرج من نعيم الجنة إلى بلاءات الدنيا، يقول الدكتور : صباح عبد الله ان التشتت، فبعد ان كان يجد في الجنة كل ما يطيب إذا به يجوع ويعرى ويمرض ويعاني من الحر والبرد ويضعف ويقوى فضلا عن ألم الشعور بالخطأ، والذم على ترك الجنة فكان في غاية التشتت والضياع ، وهو في حاجة الى من يساعده ويلملم شتات تفرقه هذا، عندها يأتي فضل الله حاملاً رحمته ومنه ليخرج آدم من هذا الوضع، ويلملم ذلك التشتت الذي كان عليه باجتبائه (11)، فالاجتباء إنما هو الجمع بعد التفرقة ، إذ اصل الكلمة فيه الجمع ، يقال : اجمعت الفرس نفسها اذا اجتمعت نفسها بعد النفار على حد تعبير الزمخشري(12).

وذلك نلاحظ مدى دقة استعمال لفظ الاجتباء هنا دون اي لفظ ، يقول الطباطبائي ));كانه كان ذا اجزاء متفرقة متشتتة ))

فجمعها من هنا وهناك الى مكان واحد ثم تاب عليه ورجع اليه وهداه وسلك به الى نفسه ))(13).

لأن ((معنى الاجتباء جمع أجزاء الشيء وحفظها من التفرقة والتشتت وفيه سلوك وحركة من الجابي على المُجبي))(14)، ومنه الجباية بمعنى الجمع للأموال المتفرقة(15).

إذ ((يلاحظ أن هناك مراحل مهمة في مسيرة الدلالة، فبعد المعصية التي ارتكبها آدم عليه السلام ، تأتي الغواية بصورة مباشرة او متزامنة مع المعصية ، بدليل استعمال حرف العطف (الفاء)، ويأتي الاجتباء بالترتيب المتراخي بقرينة (ثم) ومعها التوبة والهداية بقرينة الفاء والواو ، فتبين أن الاجتباء توسط هذه الأمور الاربعة، فهو يمكن ان يعدُ حلقة مهمة في هذا الترتيب المعنوي لآدم عليه السلام فالتعبير في الآية المباركة (اجتباه) في سياقها البنائي يشير الى ما كان منه (عليه السلام) من تشتت سبب ما سماه القرآن معصية لربه مع غواية ...وكان من نتائجهما ظهور عوارض البشرية عليه وعلى حواء ...وهذا مالا ينسجم مع وجودهما في الجنة، فأصبحت لحظات الزمن متباطئة وحرجة عليهما ،لان النتيجة هي خروجهما من الجنة))(16) فضلا عن الدلالة على حال آدم (عليه السلام) الذي رسمه لفظ الاجتباء كان اللفظ نفسه مشعراً بمعنى المحبة والتودد، مما قد يخلق ايحاءً بعدم وجود اي تشنيع على آدم بفعلته، يقول الزمخشري ))وعصى آدم ربه فغوى بهذا الاطلاق وبهذا التصريح ، حيث لم يقل وزل آدم واخطأ وما اشبه ذلك مما يعبر عن الزلات والفرطات، فيه لطف بالمكلفين ومزجرة بليغة وموعظة كافة وكانه قيل لهم : انظروا واعتبروا كيف نعيت على النبي المعصوم حبيب الله الذي لا يجوز عليه الا اقتراف الصغيرة غير المنفرة زلته بهذه الغلطة ، فلا تتهاونوا بما يفرط منكم من السيئات والصغائر، فضلا ان تجبروا على التورط في الكبائر ... فان قلت ما معنى (ثم اجتباه ربه )قلت :ثم قبله بعد التوبة وقربه اليه من جبي الي ٌكذا فاجتبيته ، ونظيرة ، جلبت العروس فاجتلبتها ))(17).

ويعضًد ذلك الإضافة الى الضمير في (ربه) يقول ابو السعود: ((ثم اجتباه ربه ، اي اصطفاه وقربه اليه بالحمل على التوبة والتوفيق لها من اجتبى الشيء بمعنى جباه لنفسه اي جمعه كقولك :اجتمعته أو من جبي إلى كذا فاجتبيته مثل جلبت العروس فاجتلبتها ... وفي التعريض العنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره (عليه السلام) مزيد تشريف له عليه السلام ...))(18).

ولعل في استعمال فعل الاجتباء نفسه إشارة الى تعزيز فكرة كون آدم (عليه السلام) لم يكن في موضع العصيان الحكمي المستلزم للعقوبة او التوبيخ ،فهو من الانبياء الذين خفاهم الله بنعمة النبوة ، فهو معصوم من الخطأ والزلل.

إذ ((يلاحظ ان آدم (عليه السلام) قد بادر الى التضحية الحسية والواقعية بكل ما لديه، في سبيل الوصول الى مقامات جليلة عظيمة عند الله، أو قد ظهرت آثار هذه التضحية في البلاء الذي واجهه، فاستحق ان يجمعه الله اليه، وان يمنحه وسام الاجتباء لنجاحه في الامتحان ، فالتوبة اذاً كانت في طريق الاجتباء، وهذا ما نلمسه في معنى قوله (فتاب عليه) الذي هو نتيجة حتمية ومباشرة لتهيئة ذاتية قام بها آدم ... ولكن لا دلالة لكل رجوع وانابة إلى الله ، على وقوع الذين وصدوره منه، فمن الممكن ان يكون نفس العمل جائزاً ومباحاً ولكن صدوره منه فمن الممكن ان يكون نفس العمل جائزا ومباحاً ولكن صدوره من بعض الشخصيات محظورُ غير مقبول، فإنابة تلك الشخصيات الى الله في تلك المحاولات، لاتعدُ دليلا على صدور الذين، بل تعدُ دليلا على سعة علمها بالعظمة الالهية، وهذا ما ينسجم مع المقولة الشهيرة :حسنات الابرار سيئات المقربين ، وهو ما يمثل مرتبة مهمة من مراتب الاجتباء ))(19).

ويلحظ الثعالبي ملمح الرتبة في الذكر فيقول: ((إن الاجتباء والهداية كانا بعد العصيان وقل اكلها وهو متأول وهو لا يعلم انها الشجرة التي نُهي عنها، لأنه تأول النهي الله تعالى عن شجرة مخصوصة، ولهذا قيل انما كانت التوبة من ترك التحفظ لا من المخالفة ... والضمير في عنها (البقرة 36) يعود على الجنة وهنا محذوف يدل عليه الظاهر، تقديره فأكلا من الشجرة ...))(20).

**\_المحور الثاني : الاجتباء والهداية (نبي الله ابراهيم عليه السلام):**

 قال تعالى: {**إِنَّ إِبْرَاهِيم كَانَ أُمَّة قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنْ الْمُشْرِكِينَ. شَاكِرًا لِأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ**} (النحل 120 -121 )

اختصت هذه الآية المباركة بالإشادة بالنبي الجليل إبراهيم (عليه السلام ) عبر سرد لصفاته ومزاياه التي كان عليها، فهو القانت وهو الحنيف وهو الموحد وهو الشاكر، الذي كان محلاً لاجتباء الله تعالى وهدايته الى صراط مستقيم ، فهو امة كاملة من الايمان والتوحيد لله في زمن لم يكن فيه من البشر موحد غيره (عليه السلام ).

قيل ان المراد بالأئمة هو الأمام الذي يؤم به ،وقيل هو المؤمن وحده في زمانه، ولعل هذا اقرب، لكون ابراهيم عليه السلام كان المؤمن الوحيد بين قومه، لذا خصه الله بهذا الفضل وجعل منه امة كاملة(21).

قال الزمخشري: ((كان أمة فيه وجهان : أحدهما : أنه كان وحده امة من الامم لكماله في جميع صفات الخير، ... وعن مجاهد :كان مؤمنا وحده والناس كلهم كفار، والثاني : ان يكون أمة بمعنى مأموم أي يؤمه الناس ليأخذوا منه الخير ))(22).

وقال الالوسي : ((يخبر تعالى عمَا فضل به خليله عليه الصلاة والسلام وخصه به من الفضائل العالية والمناقب الكاملة فقال ،ان ابراهيم كان امة ، اي اماماً جامعاً لخصال الخير هادياً مهتدياً (وقانتاً لله) اي مديماً لطاعة ربه مخلصاً له الدين (حنيفاً) مقبلاً على الله بالمحبة والانابة والعبودية ))(23).

فبعد ان كان ابراهيم قد تمتع بكل هذه المزايا ، ووصله الى هذه المراتب كان محلاً لاجتباء الله تعالى، فهو كان قد مرّ بمرحلة خطيرة من الامتحان والاختبار اهلته الى ان يكون محل لطف الاجتباء الإلهي قال تعالى : ((وكذلك نرى إبراهيم ملكوت السموات والارض وليكون من الموقنين فلما جن عليه الليلُ رأى كوكبا قال هذا ربي فلما افل قال لا احبُ الافلين فلما رأى القمر بازعاً قال هذا ربي فلمَا افل قال لئن لم يهدني ربي لأكونن من القوم الظالمين فلما رأى الشمس بازعة قال هذا ربي هذا اكبر فلما افلت قال يا قوم اني بريء مما تشركون اني وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض حنيفاً وما انا من المشركين )) (الانعام 76 \_79 )

وهذا لا ينبغي عنه انه لم يكن قانتاً او حنيفاً او مؤمناً بل هو شخصياً يريد ان يفكر في الله تعالى ،يقول صاحب الامثل ((ابراهيم كان يريد شخصياً ان يفكر في معرفة الله وان يعثر على المعبود

الذي كان يجده بفطراته النقية ... لقد كان يعلم بمصداقه الحقيقي أيضا ولكنه كان يريد ان يصل عن طريق الاستدلال العقلي الأوضح إلى مرحلة حق اليقين ))(24) ، وهي كلها امور تتناسب مع مرحلة الاجتباء التي كانت ملازمة للهداية ،فقد طلب الهداية (وهداه ربه) (ثم اجتباه الى صراط مستقيم )،فهناك علاقة رتبية بين الهداية والاجتباء فكلما وجدنا مفردة الاجتباء شاهد انه يتبعها بلفظ الهداية ،قال تعالى ))ومن آبائهم وذرياتهم وإخوانهم واجتبيناهم وهديناهم الى صراط مستقيم )) وقال تعالى ))يجتبى اليه من يشاء ويهدي اليه من يُميب))، وهذا ما يقوي احتمالية ان تكون الهداية نوعا من انواع الاجتباء أو مرتبة لاحقه له ، وهذا يلزمنا ان نعترف ان هناك رتبة اخرى تتوسط بين الاجتباء والاصطفاء هي رتبة الهداية ، وهو ما يجعل من الهداية مرتبة من مراتب القرب الى الله تعالى متاخرة عن الاجتباء او مساوية له في الدلالة ،وبهذا يشكلان معاً قاعدة طبيعية لدرجة ارقى واعلى في القرب وهي درجة الاصطفاء ))(25) وهذا كله انما تكفل التعبير القرآني بإبرازه عبر ملامح تركيبية ونبوية ادى الدور الكبير في إظهار تلك الدلالات.

فلما كان قنوت ابراهيم وشكره غير متعلقان بزمنية معينة ،فلما يكن السياق التركيبي للنص القرآني ماثلاً لمسالة زمنية شكره وقنوته بل التركيز فيه انصب على حليته وتمتعه بهذا الخصال جاء التعبير باعتماد الصيغة الاسمية ،ويقول الامام عبد القاهر الجرجاني (471هـ) ))ان موضوع الاسم ان يثبت به المعنى للشيء من غير ان يقتضي تجدده شيئاً بعد شيء. واما الفعل فموضوعه على انه يقتضي تجدد المعنى المثبت به شيئاً بعد شيء. فاذا قلت :(زيدٌ منطلق )فقد اثبت الانطلاق فعلاً له من غير ان تجعله يتجدد ويحدث منهن يرى شيئاً فشيء ...واما الفعل فأنه يقصد فيه الى ذلك فاذا قلت : (زيدُ هو ذا ينطلق ) فقد زعمت أن الانطلاق يقع منه جزءاً مجزوءاً، وجعلته واذا جمع بين الاجتباء والهداية بالواو، اذ ((مع الاجتباء نجد ملازمة الهداية ...فالجمع بين الاجتباء والهداية واضح في استعمال الواو العاطفة، فإذا ذهبنا مع من يرى ان الواو تفيد مع الجمع الترتيب عندما تكون العلاقة بين المتعاطفين هي علاقة تتابع دلالي اسنادي ويعد من ابرز العلاقات السياقية التي تتحكم بربط سلسلة التراكيب النصية بعضها ببعض ،وتكشف عن البنية المحورية للتركيب ،فتكون الهداية معها ملازمة الى رتبة الاجتباء ، ويمثلان محوراً دلالياً واحداً وهي ايضا عملية جديدة لمستوى دلالي ورتبة جديدة للاجتباء تتضمنها الهداية ،كونها تستنبط اجتباءً للمهدى، وهذا ما يمكن ان نستفيده من مقارنة استعمال القرآن الكريم للهداية مع الاجتباء في مقامات الانبياء الاخرى اذ نلاحظ هذا التلازم ...))(26).

فدلالة الاسمية (قانتاً ،شاكراً، حنيفاً) توحي بثبوت هذه الصفات لإبراهيم (عليه السلام) في زمن ليس فيه قانتاً وحنيفاً وشاكراً غيره ، غير أن لما كان الاجتباء مقيداً بمرحلة زمنية تمثلت بعد اجتياز ابراهيم (عليه السلام) الاختيار، فهو قبل الاختبار غير مجتبى وبعد جاء (اجتباء الله ، أي أن الزمنية كانتاً جزءاً من اجتباء الله له راينا التعبير يعدل الى اعتماد الصيغة الفعلية (اجتباه وهداه ).

يقول صاحب الميزان : ((والذي يعطيه سياق الآيات ان العناية تتعلق بمعنى الكلمة الاصلي وهو الجمع من مواضع وامكنة مختلفة متشتتة ،فكيف تمهيداً لما يذكر بعده من الهداية الى صراط مستقيم ))(27).

**\_المحور الثالث : الاجتباء والتأويل (نبي الله يوسف (عليه السلام)**

قال تعالى :{ **وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَىٰ أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ}** (يوسف: 6)

ففي هذه الآية المباركة يذكر الله تعالى نعمته على نبيه يوسف (عليه السلام) متمثلة بالاجتباء وتعليم تأويل الاحاديث واتمام النعمة عليه من النبوة ورئاسة ، فهو من الانبياء الذين انعم الله عليهم بنعمة النبوة ونعمة الرئاسة، ويذكر سبحانه وتعالى بتمام نعمته على ابويه من قبل ابراهيم واسحاق (عليهما السلام ).

توحي هذه الآية المباركة الى علم التأويل الذي كان الله تعالى قد علمه لنبيه يوسف (عليه السلام )، فقد اوحت بتلك العظمة وربطت ذلك بالتأويل

قال الزمخشري : (( (وكذلك يجتبيك ربك) يعني كما اجتباك لمثل هذه الرؤيا العظيمة الدالة على شرف وعز وكبرياء شان كذلك يجتبيك ربك لامور عظام ...))(28).

وقال البغوي: ((قوله عز وجل وكذلك يجتبيك ربك يصطفيك ربك يقوله يعقوب ليوسف، اي ، كما رفع منزلتك بهذه الرؤيا فكذلك يصطفيك ربك (ويعلمك من تأويل الاحاديث) يريد تعبير الرؤيا سمى تأويلا لأنه يؤول امر إلى ما رأى في منامه ))(29).

ويشير ابو السعود : العظمة من الصيغة نفسها فيقول : ((ويجتبيك ربك :باختيارك لجناب كبريائه ويتنبؤوك افتعال من جباه اذا جمعه ويصطفيك على اشراف الخلائق وسراة الناس قاطبةً ويبرز مصداق تلك الرؤيا في عالم الشهادة حسب ما عاينته من غير قصور والمراد بالتشبيه بيان المضاهاة المتحققة بين الصورة المرئية في عالم المثال وبين ما وقعت هي صوراً واشباهاً له من الكائنات الظاهرة ...))(30).

ويتلمس السمين الحلبي العظمة من الجانب النحوي القائم على الحذف ،فيقول ((وكذلك يجتبيك ربك :الكاف في موضع نصب او رفع فالنصب :اما على الحال من ضمير المصدر المقدر ...واما على النعت لمصدر محذوف والمعنى مثل ذلك الاجتباء العظيم يجتبيك ...))(31).

اذ الامر متعلق بجانب المجازي ،وهذا ما أكده القرطبي بقولة : ((اجمعوا الاجتباء في تأويل الرؤيا هي معجزة له فانه لم يلحق فيها خطا وكان يوسف ((عليه السلام ) اعلم الناس بتأويلها ...))(32).

ويرى صاحب الميزان ان الملمح الدلالي يكمن في دلالة الحركة لصيغة الفعل ، فهو فعل مضارع يقول : ((معنى الاجتباء جمع أجزاء الشيء ، وحفظها من التفريق والتشتت وفيه سلوك وحركة من الجابي نحو المجبىء فاجتباه الله سبحانه عبداً من عباده هو ان يقصده برحمته ويخٌصه بمزيد كرامته فيجمع شمله ويحفظه من التفرق في السبيل ))(33).

فيعلق الدكتور صباح عيدان بقوله يرى ان دلالة الفعل توحي الى ان اجتباء يوسف (عليه السلام) على الرغم من عظمته فهو شيء تالٍ وليس اولي له ،يقول : ((من هذا يمكن ان نعرف ان لاجتباء يوسف عليه السلام وتعليمه التأويل ، ولم يكن في بداية الامر ، ولكنه اُجل الى ما بعد الاختبار والتخصيص ، وذلك من دلالة قوله كذلك التي تفيد عاقبة الامر وسياق استعمال المضارع يجتبيك ،فيه دلالة على ان الاجتباء في المستقبل ، وكذلك يعلمك اني في المستقبل ، ولو كان يوسف يعلم التأويل لما احتاج الى سؤال ابيه عن الرؤيا ... لان نعلم التأويل . وهو نوع من انواع الهداية – لم الا بعد ان مرّ يوسف (عليه السلام) بعملية الاختبار ، فلم يذكر القرآن ان يوسف قد هدى الى تعلم التأويل الا بعد ان دخل السجن وقد تجاوز الاختبار الصعب في بيت عزيز مصر ... فهو بين اختبار السجن وبين الاستجابة لدعوة النسوة لكنه حبب السجن فاجتاز الاختبار ،ليقع تعلم التأويل وما يرافقه من الاجتباء فكان كل ذلك قبل الاصطفاء ولكنه مر بمرحلة الاجتباء والهداية ... والذي يمكن ان تستنتجه من عكس الدلالة ان التأويل هو نوع من انواع الاجتباء الدلالي للفرد ))(34).

فالاجتباء هو اختبار معاني الامور للمجتبى وهو غناء من الله تعالى على يوسف (عليه السلام )وتعديد فيما عودة من النعم التي اتاها الله تعالى من التمكين في الارض وتعليم تأويل الاحاديث، ويقول ابو حيان: ((وكذلك يجتبيك ربك، اي : مثل ذلك الاجتباء ،وهو ما أراه من تلك الرؤيا التي دلت على جليل قدره ، وماله من النبوة والرسالة والملك ))(35).

**\_ المحور الرابع :الاجتباء والجهاد (( رسول الله (ص) والمؤمنون معه ))**

قال تعالى ((**وجاهدو في الله حق جهاده ، هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج ملة ابيكم ابراهيم هو سماعكم المسلمين من قبل وفي هذا ليكون الرسول شهيداً عليكم وتكونوا شهداء على الناس فأقيموا الصلاة واتو الزكاة اعتصموا بالله هو مولاكم فنعم المولى ونعم النصير** )) ((الحج : 78 ))

بدأت الآية المباركة بفعل امر يطلب او يؤمر به المسلمون بالجهاد في سبيل الله ، رفعاً لراية الاسلام وتحقيق الدين والقيم ، فالله هو الذي اجتبى المسلمين وانعم عليهم بنعمة الدين الحنيف ،ليكون الرسول (ص) شهيداً عليهم ، ويكون المسلمين شهداء على الناس ،فالله هو المولى سبحانه.

هذه الآية الكريمة تنوه بالمكانة العظمى التي حض بها الله المسلمين، شهادة الرسول عليهم والاجتباء لهم، اذ توضح الآيتان حقيقه مهمة تعبر عن ائتلاف عناصر معينة يأخذ بعضها بعضٍ في مقام الجان لشكل بالتالي تلك المكانة العظمى ذلك انه تعالى بعد ان امر المؤمنين عموماً بالركوع والسجود ومطلق العبادة ،...بين لهم منته عليهم بقوله (هو اجتباكم ) وقد كانت هذه المنه العظمى من الاجتباء وما بعدها تؤدي بصورة طبيعية الى شهادة الرسول (ص) عليهم وشهادتهم على الناس ... ومن هنا نعلم عند الدقة والتأمل لان الغاية المتوخاة من هذا الاجتباء هي الشهادة المذكورة وان المقوم الاساسي لهذا المقام السامي هو الاجتباء (36).

والمتأمل في سياقية التركيب يجد التعبير قد جاء بالجملة الاسمية، مما سماتها الدلالية الثبوت، أي ان الاجتباء هو من الله لا من احد غيره، فقال (هو اجتباكم)، نظراً لكون الاسم مما هو ذو بعد دلالي يتسم بسمة الثبات، ذلك ((ان الاسم يفيد الثبوت والفعل يفيد التجدد والحدوث فاذا قلت : خالد مجتهد افاد ثبوت الاجتهاد لخالد ،في حين انك اذا قلت : يجتهد خالد افاد حدوث الاجتهاد له بعد ان لم يكن وكذا اذا قلت : (هو حافظ) او (يحفظ ) ف (حافظ ) يدل على الثبوت و(يحفظ) يدل على الحدوث والتجدد ...))(37).

يقول ابو حيان: ((وجاهدوا في الله امر بالجهاد في دين الله واعزاز كلمته ،يشمل جهاد الكفار وجهاد النفس ... واضعاف الجهاد اليه لما كان مختصاً بالله ...هو اجتباكم اي اختياركم تحميل تكليفاته ، وفي قوله (هو) تفخيم واختصاص اي هو لا غيره))(38)ويقول البيضاوي :(هو اجتباكم تنبيه على المقتض للجهاد والداعي اليه))(39).

اذ في بيان (هو اجتباكم) بيان العلة لما امروا به ابتداء في قوله: (( (يا ايها الذين امنو اركعوا واسجدوا ) اي لأنه اجتباكم فكان حقيقاً بالشكر له ...))(40).

ولما كان الاجتباء مما يستلزم التسليم الكامل لله تعالى جاءت جملة (هو اجتباكم ) مفصولة غير واصلة بجملة (هو سماكم المسلمين )من قبل ،فهي تعبر عن كمال الاتصال او الاتحاد بين الاجتباء والإسلام ، فالإنسان المجتبى هو الانسان المسلم ،مما يدل على ان للإسلام مراتب ، وان هذا الإسلام الملازم للاجتباء لابد ان يكون من مراتبه العليا بحكم الامتنان وان لهذا الاسلام صلة بحياة النبي إبراهيم (عليه السلام) اذ قال (ملة ابيكم ابراهيم )، فالآية عبارة عن شبكة دلالية مترابطة المعاني كل بنية تؤازر في دلالتها البنية الدلالية للكلمة المجاورة لها(41).

وفي التعبير تشريف للرسول (صلى الله عليه وآله) يقول الدكتور فاضل الجواري : ((عبر ب(الذي) التي هي اصل الموصولات ذلك السر في تقديم الذي اوصى اليه عليه الصلاة والسلام على ما بعده مع تقدمه عليه زمناً وتقديم توجيه نوح عليه السلام للمشاركة الى بيان كونه المشرع لهم ديناً قديماً وتوجيه الخطاب اليه عليه الصلاة والسلام بطريق التلوين للتشريف ...))(42).

فجاء الاجتباء يعزز ذلك ، قال السيوطي : (( الله يجتبي اليه من يشاء : يخلص لنفسه من يشاء ))

**الخاتمة:**

بعد ان شارف البحث على الانتهاء ،فانه والحال هذه لابد من ذكر لاهم النتائج التي توصل اليها، من ذلك:

1\_الاجتباء مفهوم فعلي اختص به الله فاعلاً دون سواه، فلم نلحظ في التعبير القرآني ان استعمل الاجتباء في أفعال المخلوقين مهما عظمت منزلتهم، فالاحتباء فعل إلهي خالص.

2\_الاجتباء اختص وقوعه على الأنبياء الرسل وممن كان ذا منزلة عالية النقاوة الدينية ممن تبعوا الرسول وامنوا به.

3\_يلازم لفظ الهداية لفظ الاجتباء بشكل ملفت للنظر في سياقية التعبير القرآني.

4\_غلبة التعبير بالصيغة الفعلية على استعمال لفظ الاجتباء، (يجتبي ،اجتباكم ، اجتباه) ولم نلحظ مجيء التعبير باللفظ على الصيغة الاسمية.

**الهوامش:**

1. لسان العرب: بن منظور: مادة (جبي): 2/76
2. كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم :محمد بن علي التهانوي :1/100
3. التبيان في تفسير القرآن :الطوسي :2/440
4. اضواء البيان في ايضاح القرآن محمد الامين الشنقيطي :4/119
5. الفروق اللغوية :لابي هلال العسكري :88
6. المفردات في غريب القرآن :الاصفهاني :255
7. الجنى الداني في حروف المعاني :لابن جني :61
8. مغني اللبيب عن كتب الاعاريب :لابن هشام 1/176
9. الجنى الداني في حروف المعاني :426
10. ـينظر قراءات لسانية في الدلالة القرآنية :صباح عيدان :87
11. ـينظر المصدر نفسه :87
12. ـينظر الكشاف :للزمخشري :16/670
13. ـالميزان في تفسير القرآن :للزمخشري :14/223
14. ـالمصدر نفسه :11/79
15. ينظر :لسان العرب :مادة (جبي):2/76
16. ـقراءات لسانية في الدلالة القرآنية :86
17. الكشاف 16/669
18. ارشاد العقل السليم :ابو السعود :6/47
19. قراءات لسانية في الدلالة القرآنية :87
20. الجواهر الحسان في تفسير القرآن :للثعالبي : 1/66
21. بصائر ذوي التمييز :الفيروز ابادي :2/111
22. الكشاف :14/586
23. روح المعاني :للآلوسي :6/176
24. 24ـالانعام :76ـ79
25. الأمثل في تفسير الكتاب المنزل :مكارم الشيرازي :4/94
26. قراءات لسانية في الدلالة القرآنية : د0صباح عيدان :94
27. دلائل الإعجاز : للجرجاني :133
28. الميزان في تفسير القرآن :الطباطبائي :7/247
29. الكشاف :12 /505
30. معالم التنزيل :مسعود الغوي:4/214
31. إرشاد العقل السليم :4/253
32. الدر المصون في علم الكتاب المكنون :للسمين الحلبي :6/440
33. الجامع لأحكام القرآن :للقرطبي :9/128
34. الميزان في تفسير القرآن :11 /79
35. قراءات لسانية في الدلالة القرآنية 96
36. البحر المحيط:5/281ـ282
37. ينظر :قراءات لسانية في الدلالة القرآنية :99
38. معاني الأبنية في العربية :د0فاضل السامرائي :9
39. البحر المحيط :6/36
40. أنوار التنزيل وأسرار التأويل :4/80
41. إرشاد العقل السليم :6/122
42. ينظر: الإمامة والولاية في القرآن :109

**المصادر والمراجع:**

**القرآن الكريم**

1ـ إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ،ابو السعود محمد بن حمد العمادي (951ه) ،دار احياء التراث العربي ، بيروت ـلبنان ، (د.ت) ،(د(ط)

2ـ أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ، محمد الأمين الشنقيطي (1339ه) دار الفوائد ، (د.ت)، (د.ط).

3ـ الامامة والولاية في القرآن الكريم ، مجموعة من المؤلفين ،تحقيق المجمع العلمي المؤلفين لأهل البيت عليهم السلام ، مركز المجمع للنشر والطباعة ،ط1 ، 1427ه.

4ـ الامثل في تفسير كتاب الله المنزل، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، مدرسة الامام علي عليه السلام للنشر، مطبعة سليمان زارده ، ط1 ، 1426 ه ، ايران- ـقم.

5ـ انوار التنزيل وأسرار التأويل، ناصر الدين عبد الله بن عمر البيضاوي (691ه)، تقديم: محمد عبد الله المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د.ت) (د.ط).

6ـ البحر المحيط، محمد بن يوسف المعروف بابي حيان الأندلسي (547)، تحقيق: عادل احمج وزملاؤه ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، ط1 ،1413هـ1993م

7ـ بصائر ذوي التمييز ، ابو الطاهر محمد بن يعقوب الفيروز ابادي (817ه)، تحقيق محمد النجار ،(د.ت) ،(د.ط).

8ـ التبيان في تفسير القرآن، ابو جعفر محمد بن علي الطوسي، تحقيق: لجنة الحكماء والمحققين الاخصائيين، بيروت - لبنان.

9ـالجامع لاحكام القرآن، محمد بن احمد القرطبي، تحقيق: عبدالله التركي ،مؤسسة الرسالة ،ط1،1472ه ـ2006م.

10ـ الجنى الداني في حروف المعاني ،الحسن بن ام القاسم المرادي ،تحقيق :فخر الدين قباوة ، ومحمد نديم ، دار الكتب العلمية ، ط1 ،1413ـ1992م.

11ـ الجواهر الحسان في تفسير القرآن، حمد بن مخلوف الثعالبي، تحقيق : علي معوض وعادل عبد الموجود، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1 ،1418هـ1997م.

12ـ الدر المصون في علم الكتاب المكنون، احمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي (756ه) ، تحقيق :احمد الخراط ،دار القلم ،دمشق ،(د.ت )(د.ط).

13ـدلائل الاعجاز ،عبد القاهر الجرجاني (471ه) ،تحقيق :محمود محمد شاكر ،دار المنار ، مصر ،(د.ت) (د.ط).

14ـ روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني، محمود شكري شهاب الدين الالوسي ، المنيرية للطباعة، دار إحياء التراث العربي ،(د.ت) (د.ط).

15ـ الفروق اللغوية، ابو هلال العسكري، تحقيق: محمد ابراهيم سليم، دار العلم والثقافة للنشر ، ط1 ،1418ه.

16. قراءات لسانية في الدلالة القرآنية على وفق القرينة والاسلوب والسياق ،صباح عيدان ،مطبعة دار الطباعة الثقافية ،العراق ـالحلة ، ط1 ،1437 هـ2016م.

17ـ كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، محمود علي التهانوي، تحقيق: رفيق العجم ، علي دحروج ، مكتبة لبنان، ط1 ،1996م.

18ـ الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الاقاويل في وجوه التأويل ،جار الله محمود بن عمر الزمخشري (538ه)،تحقيق :خليل مامون ،دار المعرفة ،بيروت ـلبنان ،ط3، 1430ـ2009م.

19ـ لسان العرب ،ابن منظور (711ه)، تحقيق :امين محمد ومحمد الصادق ،دار احياء التراث العربي ، بيروت لبنان ،ط1،1431هـ2010م.

20ـ معالم التنزيل، ابو محمد الحسين بن مسعود البغوي (516ه)، تحقيق: محمد عبد الله وزملاؤه ، دار طيبة ،الرياض ،1411م.

21ـ معاني الابنية في العربية ، فاضل السامرائي ،دار عمار ،ط2،1428هـ2007م

22ـ مغني اللبيب عن كتب الاعاريب ،جمال الدين بن هشام الانصاري (760ه)، تحقيق مازن مبارك وحمد علي ،ط2 .

23ـ المفردات في غريب القرآن، الراغب الاصفهاني (503ه) دار القلم ، دمشق ، بيروت.

24ـ الميزان في تفسير القرآن، محمد حسين الطباطبائي، منشورات الاعلمي، بيروت ـلبنان ، ط1 1417هـ1997م.